الأمثال في كتاب خاص الخاص لأبي منصور الثعالبي– مؤثرات بلاغية وأسلوبية

The Proverbs in Khas Al-Khas Book by Abu Mansur Al-Tha'labi: Rhetorical, Stylistic

د. نوفل محيسن عجيل
مدرس
وزارة التربية العراقية – محافظة نينوى
الكلية التربوية المفتوحة
مركز نينوى

Dr. Nawfal Muheisin Ajeel
lecturer
Iraqi Ministry of Education - Nineveh Governorate
Open Educational College, Nineveh Center

ajeelnofal@gmail.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢٣/٣/٢٨ تاريخ القبول ٢٠٢٣/٥/٢

الكلمات المفتاحية: الأمثال، خاص، الثعالبي، البلاغة، خطاب

Keywords: Proverbs, Khas Al-Khas Book , Al-Tha'labi, Rhetoric, Discourse

الملخص

تعد الأمثال صورة لطبيعة الحياة العربية في عصر ما قبل الإسلام ، وتجسيدا لحياتها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها، فضلا عن سلوك أفرادها وجماعاتها، وعلى ذلك فقد نالت حظوة كبيرة لدى الأدباء وعلماء اللغة ، ما أدى الى تأليف العديد من الكتب مستقلة بذاتها، أو تخصيص الفصول الكاملة لها في ثنايا كتب اللغة والأدب ، وعلى ألرغم من ذلك فإنها لم تلق تلك الحظوة ألتي نالتها دراسة الشعر وماهيته وأغراضه وفنونه ، ألتي تخص الأمثال بشكل خاص وأشكال ألنثر الأخرى كالخطبة والرسالة والوصية والمحاورة عموما ، بيد أن هذه ألمؤلفات برمتها لا تخرج بحال عن الجمع والرواية ، دونما تناولها وإخضاعها للفحص والتحليل والمعاينة ، كما ارتأى هذا البحث دراستها في إطار رؤية منهاجية حديثة تنظر الى النص بغض النظر عن جنسه الأدبي سواء أكان شعرا أم نثرا ، بوصفه كلا متكاملا مترابطا ومتفاعلا، لا أجزاء متناثرة ، وإن كانت طبيعة هذه ألدراسة تفرض على الباحث أن يقوم بتجزئة الخطاب ، بغية الكشف عن المؤثرات ألجمالية والقوانين أللغوية التي تضافرت على إنتاجه تركيبيا ودلاليا. وقد تتنوع الأساليب التي تتشكل منها بنية هذا الخطاب ضمن النص الواحد، وعلى ذلك فإن ألقيمة الأسلوبية والفنية والجمالية تتفاوت تبعا لتنوع هذه الأنواع والأشكال الأدبية ، فإن لكل نوع أو شكل منطقه ألخاص وبنيته التركيبية التي تمنحه هويته وخصوصيته وتفرده بحسب ما يقتضيه السياق وعلى وفق قيمته البلاغية والأسلوبية .

Abstract

Proverbs are a representation of Arab life in the pre-Islamic era, embodying its customs, traditions, beliefs, and the behavior of individuals and groups. They have gained great popularity among writers and linguists, resulting in the creation of many independent books or the dedication of entire chapters to them within language and literature books. However, they have not received the same attention as the study of poetry, its nature, purposes, and techniques, which includes proverbs specifically and other forms of prose such as speeches, letters, and dialogues in general. Despite this, these works remain confined to collection and narration without examination, analysis, or inspection. Therefore, this research aims to study them within a modern pedagogical framework that looks at the text regardless of its literary genre, whether poetry or prose, as both complementary, interconnected, and interactive elements, not as scattered parts. Although the nature of this study requires the researcher to break down the discourse to uncover the aesthetic and linguistic rules that combined to create it, the methods used to structure this discourse within a single text may vary. Therefore, the stylistic, artistic, and aesthetic values may vary depending on the diversity of these literary types and forms, as each has its own logic and structural identity that grants it uniqueness and specificity according to the context and in accordance with its rhetorical and stylistic value.

المدخل

تندرج الامثال في إطار دائرة ألنثر ألفني ، تعكس الملامح الذوقية والثقافية للبيئة ألعربية قديما ولم تزل متداولة في العصر ألحاضر، وما يدل على اهتمام العرب بالأمثال سواء أكان هذا الاهتمام بالناحية البنيوية التركيبية والصياغة الأسلوبية ، أم المضمونية وما تحمله في طياتها من العظة والحكمة ،وهو ما ذكره المستشرق الألماني رودلف زلها يم بقوله "وقد بلغت العرب من ضرب الأمثال شأوا لا يدرك ، فسلكوا فيها كل مسلك ، ولم يخل كلام لهم من مثل في تضاعيفه كما زينوا بها فنون القول وتصاريفه"(١)

وقد يأخذ كل مثل من هذه لأمثال بعضا من العناصر البلاغية والأسلوبية ، حسبما يقتضيه السياق البنيوي والتركيبي ، الذي يأتي من تآزر العناصر أللغوية ألمشكلة له سواء من ناحيتي الشكل والمضمون او أللفظ والمعنى . وهي فضلا عن ذلك شأنها شأن النصوص الأدبية الابداعية ، لابد لها من مناسبة تستدعيها أو حادثة أ وقصة أ وموقف معين ، وربما تكون خلاصة عدة أفكار، كما أن تأثيرها يكون بليغا، لذا فإنه يمكن الاستشهاد بها في كل مناسبة شبيهة بمناسبتها .

ومن العناصر الأسلوبية الموظفة في أشكال خطاب النثر الفني ومن بينها الأمثال، عنصر التوازن والازدواج ، الذي شكل ظاهرة أسلوبية بارزة، طغت على هذه الأشكال قديما ، ويوظف هذا العنصر بحسب مايقتضيه السياق والمقام ، وتبدو أهميته بما له من وظيفة إيقاعية ، وقيمة جمالية ، ذلك من خلال الصياغة الأسلوبية والترادف ألمعنوي ، والتناغم والتناسق والانسجام بين الكلمات والألفاظ والجمل ، على شكل مقاطع فضلا عن ألدقة في اختيار العبارات والجمل وانتقاء ألمفردات كي يكون النص أكثر استقبالا وتأثيرا . ومن العناصر البلاغية والأسلوبية الموظفة في الأمثال ظاهرة التسجيع التي كانت شائعة في عصر ما قبل الإسلام ، التي كان لها الدور الفاعل في التأثير والأقناع ، نجدها في عبارات الكهان ، ووصايا الحكماء وخطب الخطباء البلغاء ألتي كانت سائدة آنذاك كالأدعية والتعاويذ والأمثال. ومن شروط هذه الظاهرة البلاغية أن تكون خالية من ألتكلف ، وأن يكون أللفظ فيها تابعا للمعنى وليس العكس ، بعيدة عن الابتذال ، فهي ليست ترفا القصد منها الزخرفة أللفظية فحسب ، بل قيمة جمالية يستدعيها ألمعنى فهي جزء لا يتجزأ من نسيج النص توظف لأغراض فكرية وفنية ودلالية.

---

(١) الأمثال ألعربية ألقديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد ، تأليف المستشرق الألماني رودلف زلها يم، ترجمه رمضان عبد التواب، دار مؤسسة الرسالة ، بيروت (د.ت) :٨.

أبو منصور الثعالبي موجز حياة[١]

هو عبد لملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ألنيسابوري . والثعالبي نسبة إلى صناعته فقد كان يخيط جلود الثعالب ، وقد قضى معظم عمره في دراسة الآداب والعلوم ، ويعد الثعالبي جامع أشتات ألنثر والنظم ، وكان في وقته راعي العلم ورأس المؤلفين في زمانه. وقد سار ذكره سير ألمثل ، وكان يعيش عيش ألترف في كنف الرؤساء والأمراء. وكانت ولادته سنة ٣٥٠ هـ ، وقيل أنه توفي عام ٤٣٠هـ وقال بعضهم سنة ٤٢٩هـ بنيسابور. كان أبو منصور الثعالبي كثير التأليف والتصانيف إلا أنها على كثرتها قصيرة وليس له من الكتب الكبار إلا يتيمة الدهر. وقال عن كتابه خاص ألخاص: إن هذا الكتاب ألمشرف باسمه المعنون ب "خاص ألخاص" يقع في عدد أبواب الجنة ألتي فيها ما تشتهي ألأنفس وتلذ ألأعين.. أودعته من عيون الغرر وفصوص الكتب ، ما يكاد يخرج من حد الأعجاب إلى حد الأعجاز ، ويطرب بلا سماع ، ويسكر بلا شراب.

إن ضرورة لبحث الأكاديمي تقتضي أن نتناول الأمثال في إ طار الدائرة اللغوية والاصطلاحية :

١ـ الأمثال في المفهوم اللغوي

لبيان ماهية الأمثال ودلالاتها لابد من تناولها من وجهة النظر اللغوية ، يقول صاحب اللسان:" يطلق المثل في اللغة على الشيء ألذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله يقال تمثل فلان :ضرب مثلا وتمثل بالشيء ضربه مثلا ، والمِثل والمَثل كالمثل والجمع أمثال ... ومثل الرجل يمثل مثاله إذا فضل وحسن حاله ، فالمثالة حسن الحال . والمثيل الرجل ألفاضل ، والأمثل وهو أمثل قومه أي أفضلهم : فلان أمثل بني فلان ، أدناهم إلى ألخير ، وهؤلاء أماثل لقوم أي خيارهم"[٢]. وفضلا عن ذلك فالمثل بكسر الميم الشِبه ، يقال: مثل وشبه وشَبه بمعنى واحد لما ورد في قوله

(١) خاص الخاص، عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٣٠هـ) ، شرحه وعلق عليه مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م: ٥، ١٧.

(٢) لسان العرب ، جمال الدين محمد بن حازم الأنصاري المعروف بابن منظور(ت ٧١٠هـ) ،دار صادر بيروت، ط١ ١٤١٠هـ، ١٩٩٤م : ١١/٦١١- ٦١٣ .

تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير الشورى١١ ، أراد ليس كذاته شيء فالنفي المطلق يؤكد على حقيقة وحدانيته وينزهه عن النظير والمثيل"[١]

فالمعنى اللغوي ألذي طالعناه أنفا لا يكاد يخرج عن الشبه أي المثل في الصفات والقرائن ، وهو مشتق من كلمة مثال وهو قول يقوم بتشبيه حال ألثاني بالأول والأصل في ألمثل ألتشبيه ، وفضلا عن ذلك بدل على إيضاح المدح والثناء ، واذا ما استعرضنا معاجم اللغة ألأخرى نجدها لا تخرج بحال عما هو مذكور آنفا.

ويغلب على الأمثال عنصر التشبيه ،تشبيه حال الثاني بالأول ، وهو ما قرره المبرد بقوله: "المثل مأخوذ من المثال ، وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول ، والأصل فيه ألتشبيه فقولهم مثل بين يديه إذا انتصب معناه أشبه الصورة المنتصبة ، وفلان أمثل من فلان أي أشبه بما له (من) الفضل . والمثال القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول ، فحقيقة ألمثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول"[٢]. وقال ابن السكيت :" ألمثل لفظ يخالف لفظ ألمضروب له ، ويوافق معناه معنى ذلك أللفظ ، شبهوه بالمثال ألذي يعمل عليه غيره"[٣]

الأمثال في المفهوم الاصطلاحي

الأمثال كما عدها أبو عبيد القاسم بن سلام "حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خصال: إيجاز أللفظ ، وإصابة ألمعنى ، وحسن ألتشبيه"[٤] وقد نظر المرزوقي الى ألمثل على أنه: "جملة من القول مقتضبة من أصلها ، أو مرسلة بذاتها تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول ، فتنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصلح قصده من غير تغيير يلحقها في لفظها ، وعما يوجبه ألظاهر إلى أشباهه من ألمعاني ، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها ألتي خرجت عليها ، واستجيز من الحذف ومضارع ضرورات الشعر فيها مالا يستجاز في سائر الكلام"[٥]

---

(١) لسان العرب:٩.

(٢) مجمع الأمثال ، احمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني(ت٥١٨هـ) ، مصر ١٣٥٢هـ:٩.

(٣) المصدر نفسه : ٩.

(٤) المزهر في علوم اللغة، السيوطي، حققه محمد احمد جاد المولى ـ علي محم البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت: ١/ ٤٨٧.

(٥) المزهر في علوم اللغة: ١/ ٤٨٦-٤٨٧.

ويفهم مما تقدم أن ما يراد بالمثل هو القول المقتضب المشهور الذي تتداوله ألسنة الناس ، ويقر في أذهانهم لذيوعه وانتشاره ، فهو قول موجز العبارة بليغ معبر عن سلوك العامة وتصرفاتهم ،وهو ناشئ عن قصة أ وحكاية ومعبر عن موقف أو حادثة معينة ما يمنحه سمة القبول والتداول.

والأمثال حسب ما ينظر اليها الفارابي "ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ينزلوه فيما بينهم ، وفاهوا به في السراء والضراء ، واستدروا به ألممتنع من الدرر إلى ألمطالب ألقصية وهو أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة ، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة"(١) ما يدل على أن الأمثال هي عبارات موجزة ، أو جمل قصيرة ، أو تعبير بسيط هدفها التأثير على المتلقي ، وهي مكتفية بذاتها مصاغة بصورة محددة كما أن تأثيرها يكون بليغا.

وقال إبراهيم النظام: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ ، وإصابة ألمعنى ، وحسن ألتشبيه ، وجودة الكناية ، فهذه نهاية البلاغة"(٢) وعلى ذلك فهي أقوال موجزة مستخلصة من حكايات مليئة بالكنايات والرموز يخفي وراءها منشؤوها ما يريدون من نصح وإرشاد وتوجيه .

وقد وصف ابن عبدربه الأندلسي الأمثال بأنها:" وشي الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحلى المعاني ، والتي تخيرتها العرب ، وقدمتها العجم ، ونطق بها في كل زمان ، وعلى كل لسان ، فهي أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مسيرها ، ولا عم عمومها، حتى قيل أسيرمن مثل"(٣) وقال عنها ابن وهب" وأما الأمثال، فإن الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون الأمثال ، ويبينون للناس تصرف الأحوال ، بالنظائر والأشباه والأمثال ، ويرون هذا النوع من القول . أنجح مطلبا ، وأقرب مذهبا ، ولذلك جعلت القدماء أكثر آدابها ، وما دونته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم ، ونطقت ببعضه على ألسن الطير والوحش، وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها ، والمقدمات مضمومة إلى

---

(١) المصدر نفسه:١/ ٤٨٦.

(٢) مجمع الأمثال ، احمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني(ت٥١٨هـ) ، مصر ١٣٥٢هـ:٩.

(٣) العقد ألفريد ، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق احمد امين، احمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦١هـ ــ ١٩٤٢م ٣ /٦٣.

نتائجها"[1] وهي فضلا عن ذلك " قصارى فصاحة العرب العرباء ، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها ، وبيضة منطقها ، وزبدة حوارها وبلاغتها ، حيث أوجزت ألفظ وأشبعت ألمعنى ، وقصرت العبارة ، فأطالت المغزى ، ولوحت فأفرغت في التصريح وكنت فأغنت عن الإفصاح"[2]

وفيما يخص الأمثال فيمكننا عدها من حيث بنيتها جملا لسانية أو علامات سيمائية ، مكتفية بذاتها ، مقدمة وفق منطق نحوي ومعياري ، وقد يكون ذا مقصديه تفريعيه أي أن يذكر مكون ثم يتم تفريعه إلى سلسلة من الجمل المتتابعة المسند بعضها إلى بعض ، أما بنيتها وتركيبها فإنها تفهم بحسب الفهم البنيوي ألذي يقف على مستوى الجملة في التركيب ولا يتعداها إلى النص أو الخطاب ، وهي تتركب من أربع مؤشرات بنيوية:

ألأول: المتكلم ثم ألموضوع ، والرسالة ألتي تدور حوله ثم المتلقي الذي قد يكون شخصا مقصودا أ وغير مقصود ، وقد يكون فردا أ وجماعة عندما تكون هذه الأمثال مرسلة إلى مجموعة من الأشخاص بوصفها ذات مضامين حكمية وإرشادية على ألآخر أن يعتبر بها.

على أن هذه الأمثال لم تكن من البساطة الفنية والتركيبية ، بحيث يمكن عدها أقوالا اعتيادية بحسب توجهاتها الداعية إلى المباشرة والدعوة الخطابية التقريرية ، بيد أنها لا تطلق اعتباطا بل هي مخصصة لغرض يستدعي ظهورها وحافزا يدفعها إلى التمظهر لغويا ، ولكنها أحيانا تخرق معيار التركيب القاعدي ذلك عندما يكون الاختصاص الفاعلي ذا قيمة في التقديم والتأخير، فضلا عن قدرتها على اختزال تجربة واسعة والإشارة إليها ضمنا أو تصريحا حسبما يستدعيه المقام. وقد تكون إلزامية أذا ماشا بها التحذير والتهديد والوعيد ، أو اختيارية إذا ما شابتها السمة الأخلاقية أو التثمينية.

يسعى البحث للكشف عما في هذه الأمثال من مؤثرا ت بلاغية واسلوبية ،على أن البلاغة لا تتعلق ببيان القيمة الجمالية للمفردة والجملة فحسب ، انما تكون وصفا للنص والخطاب، فضلا عن أنها لا تتعلق بالمتكلم بوصفه بليغا أو غير بليغ،

(١) معجم الأمثال ألعربية، خير الدين شمسي باشا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م : ١١/١.

(٢) المصدر نفسه: ١١/١.

وإنما تتعلق بالسامع أيضا ، فالبلاغة تعد من وجه آخر "مطابقة الكلام لمقتضى الحال التي يورد فيها مع فصاحتها[١]

ومن هنا فإن بلاغة الخطاب هي " مجموعة من الخصائص التي تنتظم الخطاب الأدبي لا تنتمي كلها إلى مجال اللغة، فالقواعد العربية وشروط تأويل الدلالة والإشارة السيميلوجية والمفاهيم التي تخدم في معرفة العالم وفي العمل والوظائف النفعية ، قد اندمجت كلها في سلاسة في مهمة تحليل الخطاب الأدبي ... وتأتي أخيرا في هذا الإطار المعرفي علوم البلاغة والأسلوب والشعرية الالسنية لأنها تنصب على دراسة خواص الخطاب الفنية والنوعية"[٢] وما يتوافر فيه من ألآليات ألبلاغية والأسلوبية ألمكونة لنسيج هذا الخطاب . فالبلاغة حسب السكاكي هي "بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدا له اختصاص بتوفية خواص التركيب حقها ، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها"[٣]

أما الخطاب الأدبي فكما يحدده تود وروف " ليس مصنوعا من عبارات ، وإنما هو عبارات ملفوظة ، أو باختصار أكثر الخطاب مصنوع من ملفوظ، الا أن تأويل الملفوظ محدد من جهة العبارة التي تلفظها، ومن جهة ثانية بالتلفظ يستتبع متكلما يتلفظ ، ومستمعا يتوجه اليه وزمانا ومكانا وخطابا. باختصار فانه يستتبع مكانا للتلفظ"[٤] .

ومعنى هذا ان الخطاب ينصب على صيغ التحادث والتبادل بين المرسل والمتلقي، فان مهمة الدارس في تحليله للخطاب، تفرض دراسة نوعية الخطاب بمختلف أشكاله وأنماطه، سواء أكانت خطبة أو رسالة أو وصية أو محاورة أو توقيع أو قول ما ثور أو مثل .

وبما أن الأنواع الأدبية ومنها الأشكال النثرية (الأمثال) خصوصا تتضافر على انتاجها سلسلة من الفعاليات البلاغية والأسلوبية ، فان من الضرورة

---

(١) علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، احمد مصطفى المراغي ، بيروت ١٩٨٤م:٣٦

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمة للنشر ـ لونجمان،١٩٩٠م :١٢.

(٣) مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ،:٤١٥

(٤) أصل الأجناس الأدبية، تود وروف، ترجمة محمد برادة، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد ع(١) ، ١٩٨٢ :٤٧.

بمكان ، أن نقوم باستعراض هذه الفعاليات كي نحدد من خلالها طبيعة الخطاب ونوعيته وفاعليته، بوصفه نسقا معرفيا يسهم في تشكيل الخطاب وإنتاج الدلالة ، وسوف نقوم بعرض هذه الفعاليات ضمن محور الانزياح والوسائل المجازية.

فالانزياح بوصفه انتهاكا اسلوبيا سواء على مستوى التركيب أو على مستوى الدلالة، ،يقتضي الحديث عن العناصر التي تظهر هذا النوع من الاستخدام الأسلوبي، المتمثلة في التشبيه والاستعارة والكناية التي ترتبط بالمجاز الذي يضم جميع هذه العناصر.

فالمجاز لغة كما يحدده عبد القاهر الجرجاني" مفعل من جاز الشيء يجوز إذا تعداه وإذا عدل باللفظ كما يوحيه صل اللغة، وصف بانه مجاز على معنى انهم جازوا به عن موضعه الأصلي ، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا"(١)

وهذا يعني أن المجاز يقوم على صفة التبادل، أي أن تحل علامة لغوية محل علامة لغوية قد لا تشاكلها ولكنها تؤدي معناها بشكل أقوى في التأثير والدلالة ، وهذا الاستخدام الأسلوبي يخرج عن الحقيقة إلى ضرب من التخييل والأيهام ، من هنا فان للمجاز قوة تأثيريه بالغة ، فضلا عن أنه ضرورة لأداء المقاصد بحسب غاية المرسل وتوجهاته التي قد تصل إلى المبالغة والغرابة. أما المكونات المجازية التي تتضمن الرموز والصور والأشكال المغايرة للواقع، فهي معروفة في إطار دائرة البلاغة ، ألا وهي التشبيه والاستعارة والكناية التي ترتبط بالمجاز ، ذلك ان الانتقال من مدلول الى آخر يعد انتهاكا أسلوبيا ودلاليا.

والأسلوب الإنزياحي يولد الدهشة والصدمة والمفاجأة لدى المتلقي للنص اللغوي ، ذلك ان الانزياح هو "النتيجة المترتبة عن تصرف مستعمل اللغة ، في هياكل دلالاتها وأشكال تراكيبها ، بما يخرج عن المألوف فينقل كلاما من السمة الاخبارية إلى السمة الانشائية وهو ما عناه البلاغيون العرب بكلمة العدول للدلالة على التوليد المعنوي"(٢)

تختلف نوعية الانزياح تبعا لاختلاف نوعية العلاقات الناشئة عن اشتغال الصور البلاغية ، فاذا كانت العلاقة بين طرفي التشبيه هو علاقة المشابهة يكون

---

(١) اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق هـ. ر يتر ، مطبعة وزارة المعارف ، أستا نبول ١٩٥٤م :٣٦٥.

(٢) الاسلوبية والأسلوب ،عبد السلام المسد ي، الدار العربية للكتاب ،ط٢ ١٩٨٢م١٥٨-١٥٩.

لدينا انزياحا سياقيا، أما اذا كانت العلاقة كامنة في الاستعارة يكون لدينا انزياحا استبداليا.

أما الصورة المجازية سواء أكانت تشبيهية ام استعارية ام كنائية، فهي تلعب دورا فاعلا في نقل المعنى بوصفها وسيلة حية من وسائله المؤثرة ، وبوصفها صورا رمزية بحيث تتجاوز الحسي إلى المعنوي، والجزئي إلى الكلي ، والمؤثرات البيانية والبديعية تعني الآليات المستخدمة في هذين الحقلين البلاغيين.

فالبيان بحسب مفهوم السكاكي "معرفة إيراد ألمعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه "[١]

وعلم البيان يختلف عن علم البديع، من حيث القدرة على الكفاءة التوصيلية والنصية، فالبديع في اصطلاح البلاغيين هو العلم الذي" يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"[٢]

على ان دراستنا لهذين القسمين ألبلاغيين(البيان والبديع) ، فضلا عن علم المعاني لا تهتم بعموم التقنيات الإنتاجية لهذه العلوم ألبلاغية، وإنما سوف ننتقي منها ما يتناسب وموضوع دراستنا وتحليلاتنا ، في إنتاج النصوص النثرية قيد التحليل والمعاينة، وسوف نقوم باستعراض هذه الآليات وهي معروفة ومؤشر عليها في إطار دائرة البلاغة العربية. وسنبدأ بالبيانية من ثم البديعية:

المؤثرات البيانية وتتمثل في:

١.التشبيه: هو "الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى والمراد هاهنا اركانه وهي طرفاه ووجهه وأداته ، وفي الغرض منه وفي اقسامه"[٣] .

---

(١) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٧هـ) ، تحقيق نعيم زرزور،ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م :١٦١.

(٢) الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، تأليف الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن احمد بن محمد ت ٧٣٩هـ،تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ط١ بيروت١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م:٢٥٥.

(٣) التلخيص في علوم البلاغة وهو تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي، الخطيب القزويني٧٣٩هـ تحقيق عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية بيروت ط٢ ، ١٤٣٠هـ ـ٢٠٠٩م :٦٢.

٢.الكناية: "لفظ اريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ"[١].

٣.الاستعارة: وهي حسب عبد القاهر الجرجاني" أن تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهره وتجي إلى اسم المشبه به فتغير المشبه وتجريه عليه"[٢].

أما ألمؤثرات البديعية اللفظية والمعنوية فنجملها على النحو الاتي: [٣]

١.الطباق: وهو الجمع بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل تقابل التضاد الايجاب والسلب ام تقابل التضايف كالأبوة والبنوة ، وسواء أكان ذلك المعنى حقيقيا ام مجازيا.

٢.ألمقابلة: وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر بما يقابل ذلك على الترتيب اللفظي بأن يكون الأول للأول، والثاني للثاني.

٣.المشاكلة: وهي ذكر الشي بلفظ غيره لوقوعه في صحبته وبلفظ مضاد للمصاحب أو مناسب له تحقيقا أو تقريرا.

٤. التورية: وتسمى الايهام والتخييل وهي ان يطلق لفظ له معنيان أو أكثر احدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والثاني بعيد ودلالة اللفظ عليه غير ظاهرة لقلة استعماله فيه ، وهو المراد اعتمادا على قرينة خفية.

٥.ألمبالغة: وهي ادعاء بلوغ وصف في الشدة أو الضعف حدا يستحيل أو يبعد ، وتنقسم إلى ثلاثة اقسام تبليغ واغراق وغلو، فاذا كان المعنى ممكنا عقلا أو عادة فهو تبليغ، وإن كان ذلك ممكنا عقلا لا عادة فهو إغراق، وإن كان مستحيلا عقلا وعادة فهو غلو.

٦.الجناس: ويقال له المجانسة والتجانس وهو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان معنى وهو خمسة انواع (التام ،المحرف ، والناقص ، المقلوب ، المضارع واللاحق).

٧.السجع: وهو توافق الفاصلتين في النثر على حرف واحد في آخرهما ، والسجع لا يكون الا في جملتين أو أكثر ، وهو على ثلاثة أنواع :مطرف ومرصع ومتوازن.

وسنقوم بدراسة هذه المؤثرات البيانية والبديعية بشكل مجمل في النصوص النثرية دون ان ندرسها مستقلة عن بعضها ، ذلك أنه لا يمكن التوفر عليها بشكل منهجي الا درست ضمن صورتها الكلية ، على اننا سنستفيد من عنصر التوازي

---

(١) الايضاح في علوم البلاغة: ٢٤١

(٢) دلائل الاعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت٤١٧هـ) تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة د.ت:٦٧

(٣) التلخيص في علوم البلاغة:٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ١٠٦ ، ومفتاح العلوم :٤٢٣، ٤٢٤ ، ٤٢٩، والايضاح ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٦، ، ٢٨٨، ، ٢٩٦٢٧٥

ضمن النسق الأسلوبي ، فضلا عن المحور الدلالي الذي سوف نفعله في مجمل النصوص قيد التحليل والدراسة مستفيدين قدر الإمكان من عناصره التي أجملها تودوروف وهي[١]

١. الاستطراد: وهو مناقشة موضوع سبقت مناقشته.

٢. التدريج: وهو تقديم جملة من الافكار والمشاعر في ترتيب يجعل ما يتبعها يضيف شيئا إلى ما سبقها.

٣. الإضراب والمقارنة: هي التجاور بين ظاهرتين مختلفتين.

٤. ألنقيضة: وهي وضعية التوازي بين الاضداد.

٥. الإسهاب: وهو الترادف المتطاول.

٦. الاشتغال: ويكون بالتنبؤ أو بالرفض المسبق بحجة قد يعترض بها عليه، فضلا عن مناقشة مفهوم التضمين الذي يمكن تعريفه بانه ادراج نص من الاثار الشعرية أو النثرية ، اي قد يتم اقتباس اية قرآنية أو حديث نبوي ، أو تضمين ابيات شعرية ، وذلك لمقاصد معينة قد تكون للتأثير أو تقوية المعنى ، وتوثيق المعلومة في ذهن المتلقي كي تكون قارة في عقله مقتنعا بها.

على اننا في تناولنا لدراسة الخطاب النثري المتمثلة بالأمثال التي قررناها من خلال ما يتوافر فيها من ألمؤثرات البلاغية والأسلوبية ، فأننا سوف لا نقوم بإقحام التقنيات والعناصر المنتجة لكليهما ، انما سوف ننتقي ما ينسجم وموضوع دراستنا وتحليلاتنا لهذه الأشكال النثرية.

نطالع هاهنا سلسلة من ألآليات البلاغية والأسلوبية ألموظفة بشكل مترابط ومتماسك، ما انعكس توظيفها الصياغي والفني على البنية النصية فكانت هي الأخرى أشد ترابطا وتماسكا وانسجاما ، في ترابط عناصرها وتآزرها ، وهو ما نطالعه في المثل: "لاتكن حلوا فتبلع ولا مرا فتلفظ ، لاتكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر"[٢] إن الرؤية ألتحليلية لهذا النص ، تكشف لنا بجلاء عن الآليات البلاغية والأسلوبية الموظفة فيه ، فقبل كل شيء نلاحظ صيغة العطف ألنسقي قد تم توظيفها على

(١) الادب والدلالة تز يفتان تود وروف، ترجمة .د. محمد نديم خشفة ، مركز الأنماء الحضاري، ط١ ، حلب، ١٩٨٦ :١١٠.

(٢) خاص الخاص ،عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٣٠هـ) شرحه وعلق عليه مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤١٤هـ ، ١١٩٩٤: ٣٧.

المستوى لتركيبي ألتي تعمل على ترابط هذه لجمل بعضها إلى بعض ، ذلك ن المؤشر ألفعلي الذي أصبح بؤرة لها هو(لاتكن) ، وقد تم تقريره في بداية الجملتين(لاتكن حلوا ، ولاتكن رطبا) ، وتم حذفه في الجملتين المعطوفتين (ولا مراً، ولا يابساً) ، وهو بحكم الموجود فيهما بقرينة العطف ألنسقي ألذي يجعل الما بعد داخلا في حكم ألما قبل ، ومن العناصر البلاغية الموظفة في هذين المثلين خاصية المقابلة وهي محسن بديعي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل (فتبلع / فتلفظ ، فتعصر/ فتكسر) بصيغة المبني للمجهول ، فضلا عن المفعول به (حلوا/ مرا، رطبا / يابسا) ، وهذه الثنائيات ألضدية تعادل ثنائيتين في كل مثل ما تظهر المقابلات ألتي تحتويها هذه الأمثال والتي هي موازنة بين لأصوات والأزواج ، فضلا عن التضاد الحاصل بين الدلالات ألتي أحكمها ألتوازي التركيبي فضلا عن الدلالي ، فقد قابل بين(حلوا/ مرا) ، (رطبا / يابسا) ، وهذا ألتوازي ألذي جاء بأسلوب النهي أفاد الشرط الكامن في الوضعيتين المشخصتين ، أي بمعنى أن تكن حلوا ستؤكل ومرا ستلفظ ، وإن تكن رطبا فسوف تعصر، ويابسا فسوف تكسر، ونلاحظ فضلا عما ذكر بخصوص ألنوعية التركيبية والبلاغية والدلالية نلاحظ توظيف (التسجيع) ألكامن في (تعصر/تكسر) وهذه الخاصية أضفت نوعا من لإيقاع جاء منسجما مع طريقة العرض كي تكون المقصدية أكثر استقبالا وتشويقا وتأثيرا .أما ثيمة النص فهي بلا شك التوسط والاعتدال في جميع ألأمور وغرضها الأساس النصح والإرشاد لما هو خير.

ونطالع في مثل آخر بعض العناصر البلاغية والأسلوبية الموظفة في المثلين "لاتكن كالعنز تبحث عن المدية / ولاتكن كالساعي إلى إهراق دمه"[1]

ففي كل من المثلين احكمت الجملتان بأسلوب ألنهي الذي ورد بصيغة الفعل المضارع ألمقترن بلا لناهية ألجازمة (لاتكن)،فضلا عن توظيف عنصر التشبيه في كلتيهما بقرينة الأداة التشبيهية (الكاف) في (كالعنز) في الجملة ألأولى ، و(كالساعي) في الجملة الثانية ، حيث شبه شيء محسوس (أنت) بشيء محسوس آخر (العنز) ، وهو ما نلمحه في تشبيه المحسوس (أنت) بشيء محسوس آخر (الساعي) ، وواضح أن التحذير من ألتعرض للبلاء هو الثيمة ألأساس في ألمثلين ألمذكورين آنفا. ونطالع في مثل آخر" هو ابنة الجبل"[2]، الذي نلمح فيه ابتداء صورة

(١) خاص الخاص ، الثعالبي: ٤٠.

(٢) خاص الخاص: ٤٩.

ألتشبيه ألبليغ ألذي حذفت منه الأداة ووجهه الشبه كيما يكون ألمعنى قويا وقارا في الذهن ، وهو من قبيل تشبيه الأنسان ألمحسوس ألمعبر عنه بالضمير(هو) ، بالمعقول (ابنة الجبل) التي نلمح فيها كناية عن الصفة ، فإن ابنة الجبل معناها الصدى ، والمثل هاهنا يضرب لمن لا ينطق برأيه ولا يتحدث عن نفسه ، بل يتكلم بلسان غيره ، ويتبع الناس في آرائهم ، فكأنما الصدى يجيب كل ذي صوت بمثل كلامه فكذلك حال ذي الوجهين ألذي يردد آراء غيره ، ونطالع بعض العناصر ألبلاغية والبيانية في هذه الأمثال الثلاثة "أ حشفا وسوء كيلة ، أ غيرة وجبنا ، أ غدة كغدة البعير وموتا في بيت سلوليه"(١)، فمن الأساليب ألتي وظفت هاهنا أسلوب الاستفهام بقرينة الهمزة في (أ حشفا ، أ غيرة ، أ غدة) ، غير أنه استفهام ضمني لا يراد له جواب خرج إلى ألتعجب من اجتماع صفتين سيئتين مكروهتين في كل جملة من هذه الجمل ألثلاث ، وفضلا عن ذلك نجد عنصر ألتشبيه ألمرسل في (أ غدةً كغدة البعير) بقرينة حرف ألتشبيه (ألكاف) ، فالموت عند هؤلاء القوم ذل وقد جمعت في هذا ألمثل خلتا إساءة .

ونجد بعض العناصر البلاغية والبيانية في هذا المثل: "إن استوى فسكين ، وإن اعوج كمنجل"(٢)، فالمثال يحكمه ألتوازي التركيبي المتقابل فضلا عن الدلالي على وفق منطق الشرط ألذي يتضمن الأداة وفعل الشرط وجوابه ، فالمقابلة حاصلة في الجملتين ألشرطيتين بين الفعلين (استوى/ اعوج) ، و(سكين/ منجل) ، وقد نلمح في الجملة ألأولى عنصر ألتشبيه ألبليغ ألذي حذفت منه الأداة فقد شبه الاستواء بالسكين ، بينما أداة ألتشبيه(الكاف) في الجملة ألثانية ،لما شبه الاعوجاج بالمنجل ، على أن تمثيل هاتين الصورتين من حيث الاستخدام الأسلوبي جاء مدلل عليه بهاتين ألعلامتين(السكين/ المنجل) ، ولكل دالة من هاتين ألدالتين مدلولا يتعلق به ، فضلا عن وظيفة نفعية تختلف عن ألأخرى ما قبل تشكل النص ، فالسكين آلة حادة وظيفتها ألنفعية القطع ، والمنجل آلة حادة وظيفتها ألنفعية هي حصاد الزرع ، هذه هي ألمرجعية ألرمزية لهاتين ألدالتين ، لكن لتوظيف ألنصي ألذي يريد ألمرسل تقريره في النفوس بالتذكير ألماثل والمدرك بالحواس ، من أن الاستواء والاعوجاج صفتان تلحقان بالشخصية الإنسانية ، ألذي يدلل اجتماع الصفتين ألمحمودتين والأمر يحمد من كلا طرفيه.

---

(١) خاص الخاص:٤٣.

(٢) المصدر نفسه: ٤٣.

ويرصد ألمنبه الأسلوبي خرقا للترتيب القاعدي المنطقي في ألكثير من الأمثال موضوع البحث وهو ما نلمحه في مجموعة من الأمثال في أدناه: [١]

١. كالأرقم إن يترك يُلقم ، وإن يقتل ينقم

٢. كالأشقر إن تقدم نحر ، وإن تأخر عقر

٣.كمستبضع ألتمر إلى هجر ، والدر إلى عدن

٤. كناقل العود إلى الهنود ، والمسك إلى ألترك ، والعنبر إلى البحر الأخضر

نطالع ابتداء أن هذه النصوص وبغض النظر عن بنيتها التركيبية ، تتوفر على بعض العناصر ألبيانية والبديعية ، فمن العناصر ألبيانية نجد توظيف عنصر ألتشبيه ، في جميع هذه الأمثال ، والذي فيه خرق للترتيب القاعدي إذ ابتدأت بأحد أركان ألتشبيه المشبه به في (كالأرقم / كالأشقر/ كمستبضع / كناقل) دون ذكر للمشبه ، فضلا عن توظيف خاصية التسجيع ألكامن في(أرقم/ يلقم / ينقم ، أشقر / عقر / نحر ، التمر / هجر الدر ، العود / الهنود ، ألمسك / ألترك ، العنبر / ألأخضر) ، هذه الخاصية ألتي منحت الجمل إيقاعا جاء منسجما مع طريقة تقديمها كي تكون قارة في النفوس ، ونجد في ألمثلين الأول والثاني كانت موضوعتهما ألأساس اجتماع خصلتين مكروهتين والأمر يكره من وجهين . أما في ألمثلين الثالث والرابع فتدل موضوعتهما على نقل الأشياء من الأماكن ألتي تقل فيها إلى الأماكن ألتي تكثر فيها ، ما يدل على قلة الأدراك والفطنة والذكاء الا ان ذلك لم يذكر فصار مما هو مخفي محذوف وأداة التشبيه هنا واضحة وهي الكاف وهي من أشهر أدوات التشبيه ، والمقصود من وراء كل هذا الأنسان ألذي هو المشبه في سائر الأمثال ولم يصرح به ، كي يقيس جميع شؤونه ألحياتية بالمقياس العقلي والمنطقي ، ويزنها بميزان الاعتدال ، وأن لا يتصرف إلا على هذا ألأساس في رؤيته للحياة والكون .

وهناك أمثال أخرى أخذت بنية تركيبية تختلف عن ما طالعناه في البنية التركيبية للأمثال المذكورة آنفا ، ومن هذه الأمثال[٢]:

١. كابن لبون لا ظهرٌ فيركب ولا لبنٌ فيحلب

٢. كالنعامة لا طيرٌ ولا جمل

٣. كالخنثى لا ذكرٌ ولا أنثى

---

(١) خاص الخاص: ٤٣ ٤٤.

(٢) المصدر نفسه :٥٤.

نطالع ابتداء ان هذه الأمثال الثلاثة أحكمت بأسلوب النفي والأثبات بنيويا ، أما العناصر البلاغية الموظفة فيها فنجد عنصر التشبيه في الصفات المثبتة باقترانها بحرف التشبيه (الكاف) في (كابن لبون ، كالنعامة ، كالخنثى) ، أما أسلوب النفي فنطالعه في (لا ظهر ، لا لبن ، لا طير ، لا جمل ، لا ذكر ، لا أنثى) ، فالمشبه محذوف مقدر في مضروب المثل في من لا يعد في طبقة من الطبقات لأثباتها وتقريرها في النفوس ، وقد نجد خاصية التسجيع الكامن في حرف الباء(يركب / يحلب) ، فضلا عن أسلوب النفي الغير عامل لوجود العطف النسقي الذي ابطل عمل لا النافية وذلك لتكرارها ، لتبقي هذه الصفات بين صنفين أ وجنسين لا تمثل أيا منهما. ومن العناصر البلاغية التي تم توظيفها نطالع صورة التجنيس في(خنثى / أنثى) الذي منح النص ايقاعا جاء منسجما مع بنية المثل.

وكالعادة في فحص ومعالجة النصوص ألتي بين أيدينا ، يرصد ألمنبه الأسلوبي خرقا للترتيب القاعدي ألنحوي والبنيوي وهو ما نطالعه في الأمثال الآتية:[١]

١. مرعى ولا كالسعدان

٢. ماء ولا كصداء

٣. فتى ولا كمالك

٤. فارس ولا كعمرو

٥. الدنيا هي البصرة ولا كمثلك يا بغداد

فعلى وفق القواعد ألبنيوية ألنحوية والتركيبية فإن هذه الأمثال جميعها تحكمها بنية ألنفي والأثبات كالآتي:

١ــ بنية النفي (لا مرعى/ لا ماء/ لا فتى/ لا فارس/ ولا مدينة في الدنيا حتى البصرة)

٢ــ بنية الأثبات (السعدان/ صداء/ مالك/ عمرو/ بغداد)

فهذه المبالغة في نفي سائر الصفات عن ما سوى الموصوفات المذكورة في الأمثال آنفا والمتمثلة في :(السعدان / كصداء / مالك / عمرو / بغداد) المسبوقة ب بحرف التشبيه(الكاف) في الأمثلة الأربعة ، وبقرينة أداتي ألتشبيه (الكاف ومثل) في المثل الذي يخص بغداد ما يجعلها اجمل بلاد الدنيا، جاءت لتفضيل هذه الأماكن والأعلام التفضيل المطلق ، وعلى ذلك فتدلل موضوعة هذه

(١) خاص الخاص:٤٥.

الأمثال جميعها على تفضيل أهل الفضل والعلم والشجاعة والجمال على بعضها البعض .

وفي الأمثال الأتية[١]

١. سمن كلبك يأكلك

٢. كمجير ام عامر

٣. قول الشاعر:

أعلمهُ الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

نطالع سلسة من الآليات والعناصر البلاغية التي تضافرت على تشكيل هذه الأمثال بنيويا وأسلوبيا ، ففي ألمثل الأول نجد توظيفا بلاغيا وأسلوبيا لخاصية التورية وهي من فنون البديع المعنوي ومعناها لفظ له معنيان قريب وظاهر ، وبعيد خفي وهو المقصود ، وفضلا عن ذلك فهي الأيهام والتوجيه والتخيير ، فلفظة (كلب) على هذا النحو لا تعني معناها القريب المتمثل بالحيوان المعروف مطلقا ، انما يقصد بها اللئيم الذي يتبعك لأجل تحصيل الفائدة فيما إذا رأى فيك ما يحقق مبتغاه ، والمثل الثاني (كمجير أم عامر) توظيفا لعنصر التشبيه بقرينة حرف التشبيه (الكاف) وأم عامر كناية لأنثى الضبع أجارها رجل فلما أمنت وثبت عليه فافترسته وذهب مثلا في الكفران وسوء المجازاة ، وهو عين ما نطالعه في المثل الثالث ألمتمثل ببيتي الشعر، وفيهما كناية نسبة صفة الى موصوف ، إنكار جميل من قدم المساعدة ، وشد أزر من كان في حاجة الى المساعدة ، على انه لم يقصد تعليم الرماية بحد ذاتها ، انما قصد فعل المعروف على اطلاقه ، وربما مثل بها لأنها ترتبط بحياة العرب ، حيث ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم انه قال: "علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل " لأنها عادات شريفة تسمو بشخصية المرء وتعزه وتصونه ، وتعلمه الاعتماد على النفس والدفاع عنها، ومضمون المثل واضح ، ينقل تجربة معلم نقل ما تعلمه الى تلميذه فلما تعلم التلميذ وأتقن ما تعلمه جازى معلمه بالكفران بسعيه ، وقد نلمح المبالغة في (كل يوم) للدلالة على المداومة وهو يكني عن نكران الجميل والوصول بالمعنى الى أقصاه .

وفي مثل آخر:" سبق السيف العذل"[٢] نلحظ فيه توظيف عنصر الكناية ، كناية عن فوات الأمر والوقت واستحالة الرجوع عن القرار ، بتقدير أن ضربة السيف

---

(١) خاص الخاص: ٤٧

(٢) المصدر نفسه: ٥٥

سبقت اللوم أو العتب عن القتل ، وهذا المثل يضرب على اطلاقه في كل موقف فات فيه أوان الندم واستحال الرجوع عن الأمر . وصورة الكناية هذه نطالعها في المثل: "فلان حمار الحوائج ، وكلب الجماعة ، ومنديل الأيدي"[١] فقبل كل شيء نلاحظ صيغة العطف النسقي قد تم توظيفها على المستوى التركيبي تعمل على ترابط هذه الحمل الكنائية الثلاث ، ذلك أن المؤشر الفعلي الذي اصبح نواة تتفرع منها وهي(فلان) وقد تم تقريرها في بداية التركيب ، على أن تمثيل هذه الصور الكنائية من حيث الاستخدام جاء متنوعا ومدللا عليه بثلاث علامات (الحمار/ الكلب / المنديل) ، لكن التوظيف النصي الذي يريد المرسل تقريره في النفوس هي حالة الذليل المهين الممتهن الماثل والمدرك بالحواس. وفي مثل آخر: "إذا عز أخوك فهن"[٢] الذي يتضمن كناية عن صفة ، وقد احكمه منطق الشرط بقرينة الأداة (إذا) وفعل الشرط (عز) وجوابه (فهن) ، ونلحظ أن المثل يقارب أحيانا شكل الحكمة وفكرتها ، لأن مضمونه يكاد يكون خلاصة تجربة يعبر عنها بفكرة ثاقبة ورأي سديد ، ما يكشف عن الصفة التي لم يصرح بها بإنشاء أمر صريح بصيغة فعل الأمر ألا وهي المسايرة والمداراة غايته النصح والتوجيه والإرشاد.

ومن العناصر البلاغية والاسلوبية التي جرى توظيفها في الأمثال الاستعارة ، المتمثلة بخاصيتي التشخيص والتجسيد الاستعاري وكما يأتي:

١. "من لم يستظهر بالإخوان عضه ناب الزمان"[٣]

٢. "تخبر عن مجهوله مرآتُه"[٤]

٣. "يركب الصعب من لا ذلول له"[٥]

ففي المثل الأول نجد أنماطا من العناصر البلاغية والأسلوبية والتركيبية ، فعلى المستوى التركيبي كان للتوازي دور فاعل في إحكام بنية النص بأسلوبين هما الشرط بقرينة الأداة الشرطية (من) وفعلي الشرط والجواب (يستظهر، عضه) ، وثنائيتي النفي والأثبات بقرينة الأداة النافية الجازمة(لم يستظهر بالإخوان) والأثبات في الجواب (عضه) ، أما الخاصية الأسلوبية فمتحققة في الاستعارة المكنية في

(١) خاص الخاص: ٥٥.

(٢) المصدر نفسه: ٣٦.

(٣) المصدر نفسه: ٤١.

(٤) المصدر نفسه: ٥٢.

(٥) المصدر نفسه: ٥٢.

(عضه ناب الزمان) عبر تقنية التشخيص الذي أضفى صفة الافتراس على ما هو معنوي ، ليكشف عن فكرة المثل ومضمونه عن امتداد ايدي الظلم الى من لم يستظهر بالقوة والأنصار، فالتشخيص الاستعاري هو "إضفاء الصفات والخواص الإنسانية على الأشياء والمفاهيم التجريدية"(١)، وهو ما نلحظه في المثل الثاني إذ أصبحت المرآة تسمع وتعقل وتتكلم لتخبر عن حال صاحبها ، ففكرة المثل ومضمونه في الاستدلال بظاهر الرجل على باطنه. أما في المثل الثالث فنطالع تقنية التجسيد التي تقوم على "تجسيد المعنويات المجردة وإبرازها أجساما ومحسوسات على العموم"(٢)، ما أدى الى تجسيد ما هوي معنوي (الأمر الصعب) ، الى ما هو محسوس (الجمل) ما تدل فكرته ومضمونه على الاضطرار وما يتعاطاه المضطر.

(١) التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار المعارف، بمصر ١٩٥٩م : ٦١.
(٢) المصدر نفسه: ٦١.

الخاتمة

بعد هذه الجولة الفاحصة في ميدان الأمثال في كتاب خاص الخاص للثعالبي، بغية الكشف عما تتوفر عليه من مؤثرات بلاغية وأسلوبية توصل البحث إلى جملة من النتائج نجملها على النحو الآتي:

١. تعد هذه الأمثال صورة لطبيعة الحياة العربية في عصر ما قبل الإسلام ، وتجسيدا لعقائدها وعاداتها وتقاليدها وسلوك افرادها وجماعاتها.

٢. لم تحظ الأمثال من الدراسة ما حظي به الشعر في بيان ماهيته وأغراضه ,وفنونه، وعلى الرغم من اهتمام الأدباء وعلماء اللغة بها ، فلم يصلنا منها الا القليل من الكتب مستقلة بذاتها، ومخصصة في فصول ضمن كتب اللغة والأدب التي تناولتها بالجمع دون التحليل والدرس.

٣. تضافرت على انتاجها سلسلة من العناصر البلاغية والأسلوبية والدلالية، ضمن محور الانزياح والوسائل المجازية ، المتمثلة بالتشبيه والكناية والاستعارة بوصفها منبهات اسلوبية توحي للمتلقي بفكرتها ومضمونها عبر تجلياتها الإنزياحية ودلالتها أن نحدد طبيعة الخطاب ونوعيته ودلالته.

٤. يمكننا عد هذه الأمثال جملا لسانية أو علامات سيمائية مكتفية بذاتها ، مقدمة وفق منطق نحوي ومعياري ، وقد تكون ذا مقصديه تفريعية أي أن يذكر مكون ثم يتم تفريعه إلى سلسلة من الجمل المتتابعة المسند بعضها الى بعض.

٥. لا يمكن عد هذه الأمثال أقوالا اعتيادية بحسب توجهاتها الداعية إلى المباشرة والدعوة الخطابية التقريرية ، فلا تطلق جزافا بل لغرض يستدعي ظهورها وحافزا يدفعها إلى التمظهر لغويا.

٦. قدرتها على اختزال تجربة واسعة والإشارة إليها ضمنا أو تصريحا حسب ما يستدعيه المقام أو السياق ، وقد تكون إلزامية إذا ما شابها التهديد والوعيد ، أو اختيارية إذا ما شابتها السمة الأخلاقية والتثمينية.

٧. إن الأمثال التي اخترناها محورا للتطبيق ، جاءت لتؤكد على الصيغة الفنية والجمالية الكامنة فيها في إطار التوجهات التي قررناها آنفا ، وهناك الكثير من هذه الأمثال القابلة للتطبيق بحسب المقاييس الفنية التحليلية التي اعتمدناها.

ثبت المصادر

أولاً: الكتب

- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: هـ. ريتر ، مطبعة وزارة المعارف ، أستانبول١٩٥٤م.
- الادب والدلالة تز يفتان تود وروف، ترجمة .د. محمد نديم خشفة ، مركز الأنماء الحضاري، ط١.
- الاسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٢م.
- الأمثال ألعربية ألقديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد ،تأليف المستشرق الألماني رودلف زلها يم، ترجمة: رمضان عبد التواب، دار مؤسسة الرسالة، بيروت (د. ت).
- الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، تأليف الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن احمد بن محمد ت ٧٣٩هـ،تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ط١ بيروت١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م.
- التصوير الفني في القرآن الكريم ،سيد قطب ، دار المعارف بمصر ١٩٥٩م.
- التلخيص في علوم البلاغة وهو تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي، الخطيب القزويني٧٣٩هـ تحقيق عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية بيروت ط٢ ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.
- العقد ألفريد ، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق احمد امين، احمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦١هـ ـ ١٩٤٢م.
- المزهر في علوم اللغة، السيوطي، حققه محمد احمد جاد المولى ــ علي محم البجاوي ـ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت (د.ت).
- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمة للنشر ـ لونجمان،١٩٩٠م.
- خاص الخاص ،عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٣٠هـ) شرحه وعلق عليه مأمون بن محيي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٤م ١٤١٤هـ.
- دلائل الاعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت٤١٧هـ) تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة د.ت.

- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، احمد مصطفى المراغي ، بيروت ١٩٨٤م.
- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن حازم الأنصاري المعروف بابن منظور (ت٧١٠هـ) ، دار صادر بيروت، ط١ ١٤١٠هـ، ١٩٩٤م.
- مجمع الأمثال ، احمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني(ت٥١٨هـ) ، مصر ١٣٥٢هـ.
- معجم الأمثال ألعربية، خير الدين شمسي باشا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، ط١ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، احمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،١٩٨٧م.
- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

ثانياً: دوريات

- أصل الأجناس الأدبية، تود وروف، ترجمة محمد برادة، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد ع (١) ، ١٩٨٢.